

الأسباب المعينة على القيام لصلاة الفجر

إن الإنسان لا يمكن أن يتخذ أي سبب مادي إذا لم يكن لديه الإخلاص والصدق للقيام لصلاة الفجر، فالإخلاص والصدق مع الله تعالى وحدهما اللذان يساعدان على مجاهدة النفس ويدفعان الإنسان إلى الأخذ بالأسباب التي تعينه على القيام لصلاة الفجر، وهما مضادان للنفاق والكذب، وبعدهما لو وجد ألف سبب وطريقة فلن يأخذ بها .

أما الأسباب المادية المعينة فهي بسيطة وسهلة على من سهلها الله عليه وهي:

- استخدام ساعة منبهة.
- أو تكليف الأهل بمهمة الإيقاظ خاصة إذا كان نومه ثقیلاً وقد لا يسمع صوت المنبه وأهله يسمعونه.
- فإذا كان نوم أهله مثله ثقیلاً فتوصية أحد الجيران ممن يحافظ على صلاة الفجر بأن يدق عليه جرس الباب وهو خارج للصلاة وهذا أمر ليس متعباً له وله فيه أجر كبير، وهو عمل مألوف بين الإخوان.



- فإن لم يكن لديه جار محافظ على صلاة الفجر فتوصية أي إنسان ممن يعرفه محافظاً على صلاة الفجر بأن يتصل به بالهاتف كلما استيقظ لصلاة الفجر، وهذا العمل قد أصبح معمولاً به بين الحريصين على صلاة الفجر.
- إذا تم استيقاظه بأحد الأسباب المذكورة فليبادر فوراً إلى الماء للوضوء ولا يسوف القيام من فراشه فقد يغفو وتضيع عليه صلاة الفجر.

لكن هذه الأسباب المادية هي الأقل شأنًا، فهناك أمر مهم يجب التعامل معه أولاً وأخيراً بتخطيط ونظام حتى ينجح في الإيقاظ أحد الأسباب المادية المتقدمة، ألا وهو النوم.

فالهدف من جميع الأسباب المادية هو الإيقاظ من النوم، ولا تختلف طريقة الإيقاظ أو درجته من شخص لآخر فحسب بل تختلف مع الشخص نفسه من حالة لأخرى وهي حسب نظام النوم الذي يتبعه، فقد يذهب إلى النوم مبكراً وينال جسمه حظه من الراحة والنوم فيكفيه المنبه لإيقاظه، وقد يذهب إلى النوم متأخراً فلا يوقظه المنبه ولا جرس الباب أو الهاتف، بل سيحتاج أهله إلى نضح الماء في وجهه حتى يستيقظ! فإذاً يجب اتباع نظام معين في الليل والنوم من أجل الاستيقاظ لصلاة الفجر بسهولة ويسر، ولا أرى نظاماً أو برنامجاً ليليل أو النوم أفضل من برنامج رسول الله ﷺ.



برنامج الليل:

لقد بينت في فصل استئصال الصلاة أن من بين الأسباب التي تجعل معظم المسلمين يتخلفون عن أداء الصلوات عامة، وصلاة الفجر خاصة، الإخلال بنظام الليل والنهار، والعمل والراحة. وقد ركزت الكلام على الإخلال بنظام الليل الذي جعله الله للنوم والراحة، وأنه هو السبب في تخلف أغلب المسلمين اليوم عن صلاة الفجر.

ولكن الإخلال بنظام النهار الذي جعله الله للعمل والنشاط، وعدم ترتيب ساعات العمل وفقاً لأوقات الصلاة -مثل نظام العمل الذي يعتمد على دوامين في اليوم - يعد أيضاً عاملاً قوياً في تخلف كثير من المسلمين عن الصلوات الأخرى: الظهر والعصر والمغرب والعشاء. وأعني بهؤلاء المسلمين: الذين يقيمون الصلاة ولكنهم يسهون عن أدائها في أوقاتها، أو يتخلفون عن أدائها في المسجد، وتكون هذه عاداتهم في معظم الأيام، ولست أتحدث عن أولئك المسلمين الذين لا يقيمون الصلاة بتاتاً! فهؤلاء لهم شأن آخر.

أما وقد بينت ذلك، فلا أحب أن أخرج من هذا الفصل إلا وأكون قد بينت البرنامج الصحيح والأفضل لليل، الذي يمكن المسلم أيضاً من أداء صلاة الفجر في وقتها في المسجد. فما هو هذا البرنامج؟.



إن أفضل برنامج لليل كما ذكرت آنفاً هو برنامج النبي ﷺ والخير كل الخير في الاقتداء به ﷺ. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١). فهو المثل الأعلى الذي يجب أن يقتدى به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله. ومن ذلك الاقتداء به في النوم واليقظة. فمتى وكيف كان نوم النبي ﷺ؟.

يقول ابن القيم: «ومن تدبر نومه ويقظته، ﷺ: وجده أعدل نوم وأنفعه للبدن والأعضاء والقوى، فإنه كان ينام أول الليل، ويستيقظ أول النصف الثاني، فيقوم ويستاك ويتوضأ ويصلي ما كتب الله له. فيأخذ البدن والأعضاء والقوى حظها من النوم والراحة، وحظها من الرياضة، مع وفور الأجر. وهذا غاية صلاح القلب والبدن والدنيا والآخرة. ولم يكن يأخذ من النوم فوق القدر المحتاج إليه، ولا يمنع نفسه من القدر المحتاج إليه منه»^(٢).

إذاً، هكذا كان نوم النبي ﷺ ويقظته. فإن كان المسلم لا يستطيع الاستيقاظ وقيام الليل مثل النبي ﷺ، فعلى الأقل أن يقتدي به في النوم أول الليل، وإن تعسر ذلك، ففي الربع الثاني من الليل، أي: في الساعة التاسعة مساءً، أو حتى العاشرة على الأكثر، ثم الاستيقاظ لصلاة الفجر، وهذا أضعف الإيمان.

(٢) الطب النبوي ١٨٦.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.



ولا شك أن اتباع هذا النظام بالنوم مبكراً يساعد المسلم على القيام لصلاة الفجر بحيوية ونشاط، لأن الجسم قد أخذ كفايته من النوم والراحة، وبالتالي يكتسب ما سوف أذكره في فصل آخر من الفوائد البدنية لهذه الفريضة، فضلاً عن أنه قد أطاع ربه وقام لصلاة الفجر وكان له بذلك الأجر العظيم.

ولا ينام قبل صلاة العشاء ولا يسهر بعدها لئلا تقوته صلاة الفجر. فعن أبي برزة، أن رسول الله ﷺ «كان يكره النوم قبلها والحديث بعدها»^(١). وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «جذب لنا رسول الله ﷺ السمر بعد العشاء. يعني زجرنا»^(٢). و«جذب»، أي عاب وذمَّ. ومن أنواع السمر مشاهدة التلفاز حتى وقت متأخر من الليل وهذا أقل ما فيه أضرار بدنية فضلاً عن فوات صلاة الفجر، أو قضاء الوقت في أمور دنيوية أخرى ليس منها أي فائدة أخروية ترتجى.

وعن علة كراهة النوم قبل العشاء والحديث بعدها يقول ابن حجر العسقلاني: «لأن النوم قبلها قد يؤدي إلى إخراجها عن وقتها مطلقاً أو عن الوقت المختار، والسمر بعدها قد يؤدي إلى النوم عن الصبح أو عن وقتها المختار أو عن قيام الليل، وكان عمر بن الخطاب يضرب الناس على ذلك ويقول: «أسمرأ أول الليل ونوماً

(١) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب ما يكره من السمر بعد العشاء.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٥٧٧.



آخره»؟ ويقول ابن حجر: «المراد بالسمر - في الترجمة - ما يكون في أمر مباح لأن المحرم لا اختصاص لكرهته بما بعد صلاة العشاء بل هو حرام في الأوقات كلها»^(١).

فإذا كان السمر في أمر مباح هكذا شأنه، فما بالك بالسمر في الأمور المكروهة والمحرمة كما يحدث في أكثر البيوت من مجالس الغيبة والنميمة، ومشاهدة واستماع المنكرات والمحرمات...! نعم كانوا يتسامرون - أحياناً - في أمور الفقه والخير بعد العشاء. فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله ﷺ يسمر مع أبي بكر في الأمر من أمر المسلمين وأنا معهما»^(٢)، فهل الناس يسمرّون هكذا اليوم...!؟

إذاً، النوم في أولى ساعات الليل هو أمر مطلوب من الناحية الدينية، ومن الناحية الصحية أيضاً، «ولا يخالّن أحد أن باستطاعته تعويض ما فاته من نوم ساعات الليل بقبيلولة النهار. فشتان بين سجواً الليل ودعة هدوءه، وبين ضجيج النهار وزخمة عجيجه. ويا بُعد ما بين هيمنة الظلام الهادئ الساكن، وبين انتشار النور الخاطف للأبصار والمثير للأعصاب. ويستغرق النائم عادة في نومه أخذاً القسط الأوفى من راحته في ساعاته الأولى، لهذا كانت

(١) فتح الباري ٧٣/٢.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٤٣.



الفائدة المجتاة من نوم ما قبل منتصف الليل، ضعف الفائدة المتوخاة من نوم ما بعد منتصف الليل»^(١).

ثم يستيقظ لصلاة الفجر؛ هذا إذا لم يكن من أصحاب الهمم العالية ولم يكن بمقدوره الاقتداء بالنبي ﷺ في قيام الليل، وإلا فقيام الليل شأنه عظيم، وفضله كبير، وأجره جزيل. قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَجُدْ لَهُ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾^(٢).

هذا هو البرنامج الأفضل لليل، والمطلوب دينياً وصحياً، وهو الذي يناسب أجهزة الجسم، ويحافظ على صحته وقوته وحيويته.

ولكن هناك عدواً خطيراً لهذا البرنامج يمنع من تنفيذه واتباعه وبالتالي يفوت على المسلم صلاة الفجر فلا يصلحها إلا قضاءً وقد طلعت الشمس وذلك بعد أن يستيقظ للذهاب إلى عمله، ألا وهو التلفاز، وهو يحتاج أيضاً إلى تخطيط ونظام للتعامل معه من أجل إنجاح برنامج الليل والقيام لصلاة الفجر.

فللتلفاز علاقات سلبية سواء بجسم الإنسان أم بالصلاة؛ فبالنسبة للتشوهات القوامية - مثلاً - هناك شيء مشترك ضمن أسباب حدوث معظم هذه التشوهات وهو: الجلوس الطويل - وخاصة الخاطئ - أمام التلفاز.

(١) صبري القباني: طبيبك معك ٧٢. (٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.



وعند الكلام على نظام الليل والنهار وجدنا أن التلذذ قد سبب إخلالاً في نظام الليل الذي جعله الخالق تبارك وتعالى للنوم والراحة والسكون، وهو يسبب لكثير من المسلمين عدم القيام من النوم لأداء صلاة الفجر وفواتها عليهم بسبب انصرافهم معظم الليل لمشاهدة برامجهم والذهاب إلى النوم في وقت متأخر جداً يصعب معه الاستيقاظ لهذه الفريضة العظيمة.

فالتلذذ يؤدي إلى: السهر ← النوم في وقت متأخر ← استئثار القيام من النوم لصلاة الفجر ← فوات صلاة الفجر ← إثم تفويتها يوم الحساب.

والتلذذ كذلك من أهم الأسباب العصرية لاستئثار الذهاب لصلاة المغرب أو العشاء بسبب المتابعة لأحد البرامج التي يعرضها في وقت هاتين الفريضتين.

من الأسباب المعينة على أداء صلاة الفجر بالنسبة للمتزوج أنه إذا جامع زوجته فليغتسل قبل أن ينام، خاصة إذا كان يعلم من نفسه أنه يستثقل القيام لصلاة الفجر بسبب أن عليه غسلًا من الجنابة، وخاصة في أيام الشتاء والبرد.

أيضاً من الأسباب المعينة على أداء صلاة الفجر في وقتها مع الجماعة، عدم النوم إذا كان قد بقي وقت قصير إلى صلاة الفجر فيقضي هذا الوقت بصلاة التهجد وقراءة القرآن أو الكتب



الإسلامية الأخرى، ولا شك أن له في ذلك أجراً عظيماً وفائدة لا تقدر بثمن.

قيام الليل:

إن من معالي الأمور التي يجب أن يهتم بها المؤمن هو قيام الليل، ولا شك في أن من يقيم الليل سيكون قطعاً من المحافظين على صلاة الفجر بسبب أنه ينتهي من قيام الليل قريباً من أذان الفجر وليس عليه سوى الخروج لأدائها في المسجد مع الجماعة. فلتكن ممن يقيم الليل، فقد أمر الله به نبيه ﷺ فقال تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (١).

وقد مدح الله عز وجل وأثنى على الذين يقومون الليل ووصفهم بأنهم مؤمنون متقون محسنون وذلك في آيات كثيرة منها: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (١)

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٢) سورة الذاريات، الآيات: ١٥-١٨.



يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ
مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءِ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾.

يُخَيَّلُ إلى بعض المسلمين أن قيام الليل وصلاة التهجد في آخر الليل وقبل طلوع الفجر أمر ليس من شأنه ولا من اختصاصه... بل هو من اختصاص الأنبياء والأولياء وكبار العلماء... وهو محق من ناحية، لأنه فعلاً لا يطيق ذلك ولا يقوم به إلا من كان من أصحاب الهمم العالية، والعزيمة القوية، والمقاصد الأخروية...

يا رجال الليل جدُّوا ربَّ صوت لا يردُّ
ما يقوم الليل إلا من له عزمٌ وجدُّ

فهم من الذين مدحهم الله عزَّ وجلَّ وأثنى عليهم قائلاً:
﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ
الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٢﴾.

وهذا - قطعاً - لا يتساوى مع غيره ممن ليس هذا شأنه، وقد
نفى الله تبارك وتعالى التسوية بينهما قائلاً: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ
الَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي
الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٣﴾.

(١) سورة السجدة، الآيات: ١٥-١٧.

(٢) سورة الفرقان، الآيتان: ٦٣-٦٤.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٩.



وهو ليس محققاً من ناحية أخرى، لأن ذلك ليس قاصراً على فئة دون فئة من الناس، بل يستحب لكل مسلم أن يقوم في الليل ويتهدج ويدعو الله ويسأله ويستغفره وقد قال رسول الله ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»^(١). وقال ﷺ: «إن في الليل ساعة، لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة، إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة»^(٢). وقال عليه الصلاة والسلام: «أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن»^(٣). وقد حدث ﷺ كل مسلم على قيام الليل، فقال عليه الصلاة والسلام: «عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقرية إلى الله تعالى، ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد»^(٤)، وكان ﷺ خير قدوة لنا في ذلك حيث كان يصلي إحدى عشرة ركعة كل ليلة، ويقوم حتى تفتّر قدماه.

أما إنه يعدّ أن ذلك ليس من شأنه، فلا يقوم من نومه إلا لصلاة الفجر، فهو كذلك الرجل الذي ذُكر في الحديث، فعن ابن

(١) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل والوتر.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٨٣٣.

(٤) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٤٠٧٩.



مسعود رضي الله عنه، قال: ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل نام ليلة حتى أصبح! قال: «ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه، أو قال «في أذنه»^(١).

وهذا الحديث فيه فائدة أخرى؛ إذ يدلنا على رجل آخر، فإذا كان شأن الأول -الذي يقوم لصلاة الفجر- ما ذكر في الحديث، فما هو شأن الآخر الذي ينام فلا يقوم إلا إلى ما بعد طلوع الشمس؟! والكلام ما زال على الليلة الواحدة وليس على الليالي...!

وكذلك ما جاء في الحديث، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم، إذا هو نام، ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ، فنكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ، انحلت عقدة، فإن صلى، انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»^(٢).

إن أفضل الأوقات لقيام الليل هو الثلث الأخير من الليل، لحديث «ينزل ربنا...»، وأيضاً عن عمرو بن عبسة السلمي أنه قال: قلت يا رسول الله، أي الليل أسمع^(٣)؟ قال: «جوف الليل الآخر، فصل ما شئت، فإن الصلاة مشهودة مكتوبة حتى تصلي الصبح»^(٤).

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل.

(٣) أي الليل أسمع: أي؛ أي وقت في الليل هو أفضل وأرجى للدعاء والاستجابة.

(٤) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١١٣٧.



إن قيام الليل هو شرف المؤمن، وهو أفضل الصلاة بعد الفريضة، فقد سئل رسول الله ﷺ: أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة؟ فقال ﷺ: «أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة: الصلاة في جوف الليل»^(١).

فإذا قام المسلم من الليل فصلى في أفضل أوقاته وهو الثلث الأخير منه كُتِبَ في الذاكرين كما قال رسول الله ﷺ: «إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا أو صلى ركعتين جميعاً كُتِبَا في الذاكرين والذاكرات»^(٢)، كما أنه ضمن بذلك الخروج لصلاة الفجر مع الجماعة، فيكون قد عمل بأشرف الأسباب المعينة على صلاة الفجر ألا وهو قيام الليل.



(١) أخرجه مسلم في كتاب الصيام، باب فضل صوم المحرم.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١١٦١.